ديار العرب

وابتدأت بديار العرب؛ لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم والذي يحيط بها بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر، فيمتد على البحرين حتى ينتهي إلى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة ثم يمتد على البحار ومدين حتى ينتهي إلى أيلة ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب.

من هذا البحر وهذا المكان من البحر لسان يعرف ببحر القلزم فينتهي إلى تاران وجبيلات إلى القلزم فينقطع فهذا هو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء من غربيها ثم يمتد عليها من أيلة إلى مدينة قوم لوط والبحيرة المنتنة التي تعرف ببحيره زغر إلى الشراة والبلقاء وهي من عمل فلسطين وأذرعات وحوران والبثنية والغوطة ونواحي بعلبك وذلك من عمل دمشق وتدمر وسلمية وهما من عمل حمص ثم الخناصرة وبالس، وهما من عمل قنسرين وقد انتهينا إلى الفرات، ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي إلى الرقة وقريسيا والرحبة والدالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة، ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والبحيرة على الخورنق وعلى سواد الكوفة إلى حد واسط فتصاقب ما قارب دجلة عند واسط مقدار مرحلة ثم تمتد على سواد البصرة وبطائحها حتى تنتهي إلى عبادان فهذا الذي يحيط بديار العرب.

فما كان من عبادان إلى أيلة فإنه بحر فارس ويشتمل على نحو ثلاثة أرباع ديار العرب، وهو الحد الشرقي والجنوبي وبعض الغربي، وما بقي من حد

الغربي من أيلة إلى بالس فمن الشام، وما كان من بالس إلى عبادان فهو الحد الشمالي فمن بالس على أن تجاوز الأنبار من حد الجزيرة ومن الأنبار إلى عبادان من حد العراق.

ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة برية تعرف بتيه بني إسرائيل وهي برية وإن كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم وإنما هي برية بين ارض العمالقة واليونانية وأرض القبط وليس للعرب بها ماء ولا مرعى فلذلك لم ندخلها في ديارهم.

وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة حتى صارت لهم ديارا ومراعي فلم نذكر الجزيرة في ديار العرب؛ لأن نزولهم بها وهي ديار فارس والروم في أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة فنزلوا على خفارة فارس والروم حتى أن بعضهم تنصر ودان بدين الروم مثل: تغلب من ربيع بأرض الجزيرة، وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام.

وديار العرب هي: الحجاز الذي يشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها ونجد الحجاز المتصل بأرض البحرين وبادية العراق، وبادية الجزيرة وبادية الشام واليمن المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعمان ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاء وعدن وسائر مخاليف اليمن، فما كان من حد السرين حتى ينتهي إلى ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف ممتدا على نجد اليمن إلى بحر فارس مشرقا فمن اليمن ويكون ذلك نحو الثلثين من ديار العرب، وما كان من حد السرين على بحر فارس إلى قرب مدين راجعا في حد المشرق، على الحجر إلى جبلي طيئ ممتدا على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز، وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى تمتد إلى البحرين إلى البحر فمن نجد، وما كان من حد عبادان إلى الأنبار مواجها لنجد

والحجاز على أسد وطيئ وتميم وسائر قبائل مضر فمن بادية العراق، وما كان من حد الأنبار إلى بالس مواجها لبادية الشام على أرض تيماء وبرية خساف إلى قرب وادي القرى والحجر فمن بادية الجزيرة، وما كان من بالس إلى أيلة مواجها للحجاز على بحر فارس إلى ناحية مدين معارضا لأرض تبوك حتى يتصل بديار طيئ فمن بادية الشام، على أن من العلماء تبقسيم هذه الديار من زعم أن المدينة من نجد لقربها منها وأن مكة من تهامة اليمن لقربها منها.

وأنا بمشيئة الله وعونه سأذكر ما انتهى إليه علمي من مدنها وما تشتمل عليه المدن مما يحتاج إلى علمه والمشاهير من ديار العرب بها وجبالها ورمالها وجوامع من المسافات المسلوكة بها، ولا نعلم بأرض العرب نهرا ولا بحرا يحمل سفينة؛ لأن البحيرة المنتنة التي تعرف بزغر وإن كانت مصاقبة للبادية فليست منها، ومجمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ إنما كان موضع مسيل ماء بني في وجه سد فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى والمزارع حتى كفروا بعد أن كان الله جعل لهم عمارات قرى متصلة إلى الشام، فسلط الله -عز وجل- على ذلك الماء آفة فكان لا يمسك ماء وهو قوله تعالى: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها إلى قوله ومزقناهم كل ممزق فبطل ذلك الماء إلى يومنا هذا.

وأما الجداول والعيون والسواني والآبار فإنها كثيرة ونبتدئ من مدن ديار العرب بمكة -شرفها الله- وهي مدينة فيما بين شعاب الجبال وطول مكة من المعلاة إلى المسفلة نحو ميلين وهو من حد الجنوب إلى الشمال ومن أسفل جياد إلى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا وأبنيتها حجارة والمسجد في نحو الوسط منها والكعبة في وسط المسجد وباب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة وهو مصراع واحد، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب والباب بحذاء قبة

زمزم والمقام بقرب زمزم على خط محاذ للباب، وبين يدي الكعبة مما يلي المغرب حائط مبني مدور وهو من البيت، إلا أنه لم يدخل فيه وهو الحجر والطواف يحيط به وبالبيت وينتهي إلى هذا الحجر من البيت ركنان:

أحدهما: يعرف بالركن العراقي والآخر بالركن الشامي: والركنان الآخران: أحدهما عند الباب والحجر الأسود فيه على أقل من قامة والركن الآخر يعرف باليماني، وسقاية الحاج التي تعرف بسقاية العباس على ظهر زمزم وزمزم فيما بينها وبين البيت، ودار الندوة من المسجد الحرام في غربيه وهي خلف دار الإمارة مشرعة على المسجد وهو مسجد قد جمع إلى المسجد الحرام وكان في الجاهلية مجتمعا لقريش.

والصفا مكان مرتفع من جبل أبي قبيس وبينها وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود، والمسعى ما بين الصفا والمروة، والمروة حجر من جبل قعيقعان ومن وقف عليها كان بحذاء الركن العراقي، إلا أن الأبنية قد سترت ذلك الركن عن الرؤية، وأبو قبيس هو الجبل المشرف على الكعبة من شرقيها، وقعيقعان هو الجبل الذي عن غربي الكعبة وأبو قبيس أعلى وأكبر منه ويقال: إن حجارة البيت من قعيقعان، ومني على طريق عرفة من مكة وبينها وبين مكة ثلاثة أميال، ومنى شعب طوله نحو ميلين وعرضه يسير وبها أبنية كثيرة لأهل كل بلد من بلدان الإسلام، ومسجد الخيف في أقل من الوسط مما يلي مكة، وجمرة العقبة في آخر مني مما يلي مكة وليست العقبة التي تنسب إليها لجمرة من منى والجمرة الأولى والوسطى هما جميعا فوق مسجد الخيف إلى ما يلي مكة،

والمزدلفة مبيت للحاج ومجمع للصلاة إذا صدروا للصلاة، إذا صدروا من عرفات وهو مكان بين بطن محسر والمازمين.

وأما بطن محسر فهو واد بين منى والمزدلفة وليس من منى ولا من المزدلفة، وأما المازمان فهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة، وهو واد بين المازمين وبين عرفة، وليس من عرفة، وعرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط بني عامر إلى ما قبل الصخرات التي يكون بها موقف الإمام وإلى طريق حصن، وحائط بني عامر نخيل عند عرفة، وبقربه المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الصلاتين الظهر والعصر وهو حائط نخيل وبه عين، وينسب إلى عبد الله بن عامر بن كريز.

وليس عرفات من الحرم وإنما حد الحرم إلى المازمين، فإذا جزتهما إلى العلمين المضروبين فما وراء العلمين من الحل وكذلك التنعيم الذي يعرف بمسجد عائشة ليس من الحرم والحرم دونه، وحد الحرم نحو عشرة أميال في مسيرة يوم وعلى الحرم كله منار مضروب يتميز به من غيره وليس بمكة ماء جار إلا شيء بلغني بعد خروجي عنها أنه أجرى إليها من عين كان عمل فيها بعض الولاة فاستتم في أيام المقتدر أمير المؤمنين ومياههم من السماء وليست لهم آبار تشرب، وأطيبها بئر زمزم، ولا يمكن الإدمان على شربه وليس بجميع مكة فيما علمته شجر مثمر إلا شجر البادية، فإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة وأودية ذات خضور ومزارع ونخيل، وأما الحرم فلم أر ولم أسمع أن بها شجرا مثمرا إلا نخيلات رأيتها بفخ ونخيلات يسيرة متفرقة.

وأما ثبير فهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة، وكانت الجاهلية لا تدفع من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت على ثبير، وبالمزدلفة المشعر الحرام وهو مصلى الإمام يصلى به المغرب والعشاء والصبح، والحديبية بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو مكان صد فيه المشركون رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وهو أبعد الحل إلى البيت وليس هو في طول الحرم ولا في عرضه

إلا أنه في مثل الزاوية للحرام؛ فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم.

وأما المدينة فهي أقل من نصف مكة، وهي في حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثير ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار يستقون منها العبيد وعليها سور، والمسجد في نحو من وسطها، وقبر النبي ﷺ من المسجد في شرقيه قريبا من القبلة وهو الجدار الشرقي من المسجد، وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلا فرجة وهو مسدود لا باب له، وفيه قبر رسول ﷺ وقبر أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ غشي بمنبر آخر، والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر، ومصلى رسول الله الذي كان يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب، وبقيع الغرقد خارج باب البقيع في شرقي المدينة وقباء خارج المدينة على نحو من ميلين إلى ما يلي القبلة، وهو مجمع بيوت للأنصار يشبه القرية.

وأحد جبل في شمالي المدينة وهو أقرب الجبال إليها على مقدار فرسخين، وبقربها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة توازي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيها وبها مسجد جامع، غير أن أكثر هذه الضياع خراب وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة وأكثرها خراب.

والعقيق واد من المدينة في قبليها على أربعة أميال في طريق مكة وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق، وأما اليمامة فإن مدينتها دون مدينة الرسول وهي أكثر تمرا ونخلا من المدينة ومن سائر الحجاز، وأما البحرين فإنها في ناحية نجد ومدينتها هجر وهي أكثر تمورا إلا أنها ليست من الحجاز وهي على شط بحر فارس، وهي ديار القرامطة، ولها قرى كثيرة وقبائل من مضر ذوو عدد قد احتفوها، وليس بالحجاز مدينة بعد مكة والمدينة أكبر من اليمامة ويليها في الكبر وادي القرى وهي ذات نخيل كثير وعيون.

والبحار فرضة المدينة وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شط البحر وهي أصغر من جدة، وجدة فرضة أهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر، وهي عامرة كثيرة التجارات والأموال ليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالا وتجارة منها وقوام تجاراتها بالفرس، والطائف مدينة صغير نحو وادي القرى إلا أن أكثر ثمارها الزبيب وهي طيبة الهواء وأكثر فواكه مكة منها وهي على ظهر جبل غزوان وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل؛ ولذلك اعتدل هواء الطائف ويلغني أنه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته.

والحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهي من وادي القرى على يوم بين الجبال وبها كانت دار ثمود الذين قال الله فيهم: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) ورأيت تلك الجبال ونحتهم الذين قال الله: (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في أضعاف جبال، وتسمى تلك الجبال الأثالب وهي جبال في العيان متصلة حتى إذا توسطتها رأيت كل قطعة منها قائمة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها رمل لا يكاد يرتقي إلى ذروة كل قطعة منها أحد إلا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله في الناقة: (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وتبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام وهو حصن به عين ونخيل وحائط ينسب على رسول الله ﷺ.

ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا بها ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى -

عليه السلام- لسائمة شعيب ورأيت هذه البئر مغطاة قد بني عليها بيت، وماء أهلها من عين تجري لهم، ومدين اسم القبيلة التي كان منها شعيب وإنما سميت القرية بهم ألا ترى أن الله يقول: (وإلى مدين أخاهم شعيبا).

وأما الجحفة: فإنها منزل عامر وبينها وبين البحر نحو من ميلين وهي في الكبر ودوام العمارة نحو من فيد، وليس بين المدينة ومكة منزل يستقل بالعمارة.

والأهل جمع ألسنة مثل فيد، وفيد في ديار طيئ وجبلا طيئ منها على مسيرة يومين وفيها نخيل وزرع قليل لطيئ وبها ماء قليل يسكنها بادية من طيئ ينتقلون عنها في بعض السنة؛ للمراعي وجبلة حصن في آخر وادي ستارة، ووادي ستارة بين بطن مر وعسفان عن يسار الذاهب إلى مكة وطول هذا الوادي نحو من يومين لا يكون الإنسان منه في مكان من بطن هذا الوادي لا يرى فيه نخلا، وعلى ظهر هذا الوادي واد مثل هذا يعرف بساية وآخر يعرف بالسائرة، وبجبلة كانت وقعة لبني تميم في بكر بن وائل، وفي جرف منها قيل: هلك لقيط بن زرارة أخو حاجب.

خيبر: حصن ذات نخيل كثيرة وزروع.

وينبع: حصن بها نخيل وماء وزروع وبها وقوف لعلي ابن أبي طالب - عليه السلام- يتولاه أولاده.

والعيص: حصن صغير بين ينبع والمروة.

والعشيرة: حصن صغير بين ينبع والمروة، تفضل تمورها على سائر تمور الحجاز إلا الصيحاني بخيبر والبردي والعجوة بالمدينة.

وبقرب ينبع جبل رضوى وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ورأيته من ينبع أخضر وأخبرني من طاف في شعابه: أن به مياها كثيرة وأشجارا، وهو الجبل الذي زعم طائفة يعرفون بالكيسانية: أن محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب حي مقيم به، ومن رضوى يحمل حجر المسن إلى سائر الآفاق، وبقربه فيما بينه وبين ديار جهينة وبلى وساحل البحر ديار للحسنيين حزرت بيوت الشعر التي يسكونها نحوا من سبع مائة بيت وهم بادية مثل الأعراب ينتقلون في المراعي والمياه انتقال الأعراب لا تميز بينهم في خلق ولا خلق، وتتصل ديارهم مما يلي المشرق بودان، وودان هذه من الجحفة على مرحلة، وبينها وبين الأبواء التي هي على طريق الحاج في غربيها ستة أميال وبها كان في أيام مقامي بها رئيس الجعفريين: أعني أولاد جعفر بن أبي طالب ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء حتى استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حرباء لهم فضعفوا.

وتيماء: حصن أعمر من تبوك وهي في شمالي تبوك وبها نخيل وهي ممتاز البادية وبينها وبين الشام ثلاثة أيام، ولا أعلم فيما بين العراق واليمن والشام مكانا إلا وهو في ديار طائفة من العرب ينتجعونه في مراعيهم ومياههم إلا أن يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان من وراء عبد القيس برية خالية عن الآبار والسكان والمراعي قفرة لا تسلك ولا تسكن فأما ما بين القادسية إلى الشقوق في الطول وفي العرض من قرب السماوة إلى حد بادية البصرة فسكانها قبائل من بني أسد، فإذا جزت الشقوق فأنت في ديار طيء إلى أن تجاوز معدن النقرة في الطول وفي العرض من وراء جبلي طيء محاذيا لوادي القرى إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين، ثم إذا جزت المعدن عن يسار المدينة فأنت في سليم، وإذا جزته عن يمين المدينة فأنت في جهينة وفيما بين مكة

والمدينة بكر بن وائل في قبائل من مضر من الحسنيين والجعفريين وقبائل من مضر، وأما نواحي مكة فإن الغالب على نواحيها مما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل وفي غربيها مدلج وغيرها من قبائل مضر.

وأما بادية البصرة فإنها أكثر هذه البوادي أحياء وقبائل وأكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ثم من ورائهم عبد القيس، وأما بادية الجزيرة فإن بها أحياء من ربيعة واليمن وأكثرهم كلب اليمن وفي قبيلة منهم يعرفون ببني العليص خرج صاحب الشأم الذي فل جيوش مصر أوقع بأهل الشام حتى قصده المكتفي بنفسه إلى الرقة فأخذه، وبادية السماوة من دومة الجندل على عين التمر وبرية خاسف من بادية الجزيرة وبرية خساف فيما بين الرقة وبالس عن يسار الذاهب إلى الشام، وصفين أرض من هذه البادية بقرب الفرات ما بين الرقة وبالس، وهو الموضع الذي كانت به حرب معاوية وعلي صلوات الله عليه والحرب ينسب إليه، ورأيت هذا الموضع من بعد وأخبرني من رأى به قبر عمار ابن ياسر -رضي الله عنه- وبيت المال الذي كان يجمع فيه الفيء لعلي بن أبي طالب -صلوا ت الله عليه-.

وأما بادية الشام فإنها ديار لفزارة ولخم وجذام وبلى وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومضر وأكثرها يمن والرمل المذكور بالحجاز هو الرمل الذي عرضه من الشقوق إلى الأجفر وطوله من وراء جبلي طيئ إلى أن يتصل مشرقا بالبحر وهو رمل أصفر لين المس يكاد بعضه يحكي الغبار، وأما تهامة فإنها قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها وشرقيها بناحية صعدة، وجرش، ونجران، وشماليها حدود مكة وجنوبيها من صنعاء على نحو من عشر مراحل، وقد صورت جبال تهامة في صورة ديار العرب وبلاد خيوان تشتمل على قرى ومزارع ومياه معمورة

بأهلها وهي مفترشة وبها أصناف من قبائل اليمن.

ونجران وجرش: مدينتان متقاربتان في الكبر بهما نخيل ويشتملان على أحياء من اليمن كثيرة وصعدة أكبر وأعمر منهما وبها يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ بنجران، وجرش، والطائف أدم كثير غير أن أكثر ذلك يرتفع من صعدة، وبها مجتمع التجار والأموال والحسنى المعروف بالزيدي بها مقيم، وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر أهلا ومرافق من صنعاء، وبلغني أنها من اعتدال الهواء بحيث لا يتحول الإنسان عن مكان واحد شتاء وصيفا عمره وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف، وبها كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدم وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل عظيم يعرف بغمدان كان قصرا لملوك اليمن وليس باليمن بناء أرفع منه.

والمذيخرة: جبل للجعفري بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخا، فيها مزارع ومياه ونباته الورس، وهو منيع لا يسلك إلا من طريق واحد حتى تغلب عليه القرمطي الذي كان خرج باليمن يعرف بمحمد بن الفضل.

وشبام: جبل منيع جدا فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة وهو مشهور من جبال اليمن ويرتفع من اليمن العقيق والجزع وهم حجران إذا حكا خرج منهما الجزع والعقيق؛ لأن وجه الحجر كالغشاء وبلغني أنهما يكونان في صحارى فيها حصى فيلتقط من بين الحجارة، وعدن مدينة صغيرة وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر وبها معادن اللؤلؤ وباليمن مدن كثيرة هي أكبر منها ليست بمشهورة.

وبلاد الأباضية بقرب خيوان وهي أعمر بلاد تلك النواحي مخاليف ومزارع وأغزرها مياها.

وحضرموت في نفسها في شرقي عدن بقرب البحر وبها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف وحضرموت في نفسها مدينة صغيرة ولها أعمال عريضة وبها قبر هود النبي -عليه السلام- وبقربها بلهوت بئر عميقة لا يكاد يستطيع أحد أن ينزل إلى قعرها.

وأما بلاد مهرة: فإن قصبتها تسمي الشحر وهي بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جدا لا يكاد يوقف عليها وليس ببلادهم نخيل ولا زرع وإنما أموالهم الإبل وبها نجب من الإبل تفضل في السير على سائر النجب واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك وديارهم مفترشة وبلادهم بواد نائية ويقال: إنها من عمان.

وعمان: مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكة الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وقصبتها صحار، وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار، وبها مدن كثيرة وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاث مائة فرسخ وكان الغالب عليها الشرات إلى أن وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة بن لؤي وهم من كبراء تلك النواحي حروب فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى المعتضد فاستنجده فبعث معه بابن ثور ففتح عمان للمعتضد وأقام بها الخطبة له وانحاز الشراة إلى ناحية لهم تعرف بنزوة وإلى يومنا هذا بها إمامهم وبقية مالهم وجماعتهم، وعمان بلاد حارة جدا وبلغني أن بمكان منها -بعيد عن البحر- ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر أحدا شاهد ذلك إلا بالإبلاغ.

وبأرض سبأ من اليمن طوائف من حمير وكذلك بأرض حضرموت.

وأما ديار همدان، وأشعر، وكندة، وخولان فإنها مفترشة في أعراض اليمن وفي أضعافها مخاليف وزروع وبها بواد وقرى تشتمل على بعض تهامة وبعض نجد اليمن من شرقي تهامة وهي قليلة الجبال مستوية البقاع ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن، وبين البحرين وبين عمان برية ممتنعة، وباليمن قرود كثيرة بلغني أنها تكثر حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم وإذا اجتمعوا كان لهم كبير يتبعونه مثل اليعسوب للنحل وبها دابة تسمى العدراء بلغني أنها تطلب الإنسان فتقع عليه فإن أصاب منه ذلك تدود، جوف الإنسان فانشق وبحكي عن الغيلان بها من الأعجوبة ما لا استجيز حكايته.

وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبادان إلى البحرين نحو من ١٥ مرحلة ومن البحرين إلى عمان نحو من شهر ومن عمان إلى أرض مهرة نحو من شهر وإلى حضرموت من مهرة نحو شهر ومن أقصى حضرموت إلى عدن نحو شهر ومن عدن إلى جدة نحو شهر ومن جدة إلى ساحل الجحفة نحو ٥ مراحل ومن ساحل الجحفة إلى الجار نحو من ٣ مراحل ومن الجار إلى أيلة نحو من ٢٠مرحلة ومن أيلة إلى بالس نحو من ٢٠ مرحلة ومن بالس إلى الكوفة نحو من ١٠ مرحلة ومن الكوفة إلى البصرة نحو من ١٢ مرحلة ومن البصرة إلى عبادان نحو مرحلتين فهذا هو الدور الذي يحيط بها.

وأما طرقها فإن من الكوفة إلى المدينة نحو من ٢٠ مرحلة ومن المدينة إلى مكة نحو من ١٠ مراحل وطريق الجادة من الكوفة إلى مكة أقصر من هذا الطريق بنحو من ٣ مراحل إذا انتهى إلى معدن النقرة عدل عن المدينة حتى يخرج على معدن بني سليم إلى ذات عرق حتى ينتهي إلى مكة، وأما طريق البصرة فهو إلى المدينة نحو من ١٨ مرحلة ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة، وأم طريق البحرين إلى المدينة فنحو من ١٥ مرحلة، وأما طريق

الرقة إلى المدينة فنحو من ٢٠ مرحلة وكذلك من دمشق إلى المدينة نحو من ٢٠ مرحلة ومن فلسطين إلى المدينة نحو من ٢٠ مرحلة ومن مصر إلى المدينة على الساحل نحو من ٢٠ مرحلة، ولم نفرد لمصر والمغرب طريقا؛ لأنه يلتقي بأيلة مع طريق أهل فلسطين فيصير الطريقان سوى وهو أول حد البادية وإنما يتفرق قبل دخول البادية، ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مدين طريقان:

أحدهما: إلى المدينة على بدا وشغب قرية بالبادية كانوا بنو مروان أقطعوها الزهري المحدث وبها قبره حتى ينتهي إلى المدينة على المروة وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بها طريق أهل العراق ودمشق وفلسطين ومصر، وأما طريق البصرة والرقة فهما لا يسلكان وقد تعطلا وسائر الطرق مسلوكة ومن عدن إلى مكة نحو شهر ولها طريقان:

أحداهما: على ساحل البحر وهو أبعد، والآخر: يأخذ على صنعاء وصعدة، وجرش، ونجران، والطائف، حتى ينتهي إلى مكة، ولهم طريق على البوادي وتهامة هو أقرب من هذين الطريقين إلا أنه على أحياء اليمن ومخاليفها تسلكه الخواص، منهم، وأما أهل حضرموت ومهرة فإنهم يقطعون عرض بلادهم حتى يتصلوا بالجادة التي بين عدن وبين مكة والمسافة منهم إلى الاتصال بهذه الجادة ما بين ٢٠ مرحلة إلى ٥٠ مرحلة، وأما طريق عمان فهو طريق يصعب سلوكه في البرية، لكثرة القفار بها، وقلة السكان، وإنما طريقهم في البحر إلى جدة فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت إلى عدن أو إلى طريق عدن بعد عليهم، وقل ما يسلكونه، وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه؛ لتمانع العرب فيما بينهم بها، وأما ما بين البحرين وعبادان فغير مسلوك وهو قفر والطريق فيها على البحر، ومن البصرة إلى البحرين نحو من ١٨ مرحلة في قبائل العرب ومياههم مسلوك عامر غير أنه مخوف، فهذه جوامع المسافات التي يحتاج إلى علمها فأما ما بين ديار العرب لقبائلها من المسافات فقلما تقع الحاجة لغير أهل البادية إلى معرفتها.